من تاريخ العراق فى العصر البويهى

للدكتور حسين أمين

مدرس التاريخ الاسلامى — جامعة بغداد

قامت الدولة العباسية فى العراق سنة ١٣٢ هـ ٧٤٩م فتية قوية ، وكان جل اعتمادها على العنصر العربى الذى أمدها بالحيوية والنشاط (١) إلى جانب اعتمادهم على العنصر الفارسى فى المشرق خاصة ، وبلغت حدا كبيراً من التقدم السياسى والاجتماعى والثقافى والعمرانى ، وأصبحت بغداد قبلة العالم الاسلامى ومحط أنظار السياسيين والعلماء والفقهاء وبلغت درجة كبيرة من الرقى والاتساع . الا أن المعتصم العباسى اعتمد فى حكمه على عنصر غريب ، هو العنصر التركى الذى أخذ بمرور الزمن يترقى فى المناصب ويتولى المراكز الحساسة فى الدولة ، صار هذا العنصر يتدخل فى شؤون الخلافة مستغلا ضعف الخلفاء فى العصر الثانى العباسى ، وفقدت الخلافة فى هذا العصر هيبتها وعناصر قوتها كما فقدت الدولة العباسية الكثير من ممتلكاتها ، حيث استقل المتغلبون والطامعون ، فقامت الدولة الصفارية ٢٥٤ — ٢٩٠هـ ٧٦٨ — ٩٠٢م ، والدولة السامانية ٢٦٦ — ٣٨٩ هـ ٨٧٤ — ٩٩٩ م فى ايران ، كما قامت الدولة الطولونية ٢٥٤ — ٢٩٢ هـ

---

(١) حاول الكثير من المؤرخين أن يصبغوا الدعوة العباسية وقيامها بالصبغة الفارسية ولكن من الثابت تاريخياً أن العباسيين كانوا جل اعتمادهم على العنصر العربى . فقد جعل العباسيون اثنى عشر نقيباً من أجل الدعوة هم ، ثمانية من العرب وأربعة من الفرس ، وكان معظم القواد الذين اعتمدت عليهم الثورة والدولة العباسية فى أول تكوينها من العرب ، مثل قحطبة بن شبيب الطائى وولده الحسن وعبد الله بن على وغيرهم من القواد العرب كما نلحظ فى سياسة ابن العباس والمنصور وهم من المؤسسين الأوائل لهذه الدولة ، اعتمادهم على العنصر العربى واسنادهم له ومقاومتهم للنفوذ الفارسى .

راجع : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ١٣٥٨

مجهول : الدولة العباسية مخطوط بمكتبة الأوقاف ببغداد .

الدورى : بحث قيم فى موضوع « أضواء على الدعوة العباسية » فى مجلة كلية الآداب — جامعة بغداد لسنة ١٩٥٨

٨٦٨ ــ ٩٠٥م والدولة الأخشيدية ٣٢٣ ــ ٣٥٨ هـ ٩٣٤ ــ ٩٦٨ م فى مصر ، والدولة الحمدانية فى الموصل وحلب ٣١٧ ــ ٣٩٤هـ ــ ٩٢٩ ــ ١٠٠٣م.

فى هذا العصر أصبح الخليفة لعبة بيد الأتراك وساءت أحوال الدولة وتولى فى هذه الفترة خلفاء ضعفاء لاقوة لهم وانصرف معظمهم إلى اللهو والتبذير ، فقد بدد المقتدر مثلا كل ماجمعه أبوه وأخوه (١) ، كما كان كثير الانهماك فى الشرب (٢) ، واضطربت أمور الدولة فى عهد المقتدر خاصة بعد استقالة الوزير على بن عيسى ، إذ أصاب الخزانة عجز كبير ولم تعد قابلة لأى اصلاح فاضطر الوزير سليمان بن الحسن سنة ٣١٨ هـ ٩٣٠م إلى بيع الضياع السلطانية التى هى المورد الأول لسد النفقات ولكن هذا المورد لم يكفى لسد العجز (٣) . واستمرت الأحوال مضطربة فى عهد المقتدر وضاعت هيبة الثغور على حدود الدولة ، وأخذ البيزنطيون يشنون الغارات المتصلة على الحدود المتاخمة لهم بعد أن ضعف الدفاع عنها (٤) . وقد قتل هذا الخليفة سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م واستبد بالأمور مؤنس الخادم الملقب بالمظفر أمير الجيوش ، وأجلس القاهر خليفة (٥) ، وهذا هو الآخر قبض عليه الوزير مقلة وسجنه (٦) ، وولى الخلافة ، الراضى ، سنة ٣٢٢هـ ٩٣٣م وفى عهده لم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم فى جميعها لابن

---

(١) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٩٢
مسكويه : تجارب الأمم جـ ١ ص ٢٣٨ ، أن المقتدر أتلف ليفاً وسبعين ألف الف دينار .

(٢) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ١ ص ١٤٤

(٣) Bowen : The life and times of Ali b. Isa p. 299

(٤) Muir : The Caliphate, p. 567

(٥) مسكويه : تجارب الأمم جـ ١ ص ٢٢٧ ــ ٢٤٢
أبو الفداء ــ تاريخ أبى الفدا جـ ٢ ص ٧٨
عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ١٧٤ ــ ١٨٠

(٦) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٠٥ ــ Bowen, p. 329

راتق وليس للخليفة حكم (١) ، وفى هذه الفترة ظهر على المسرح السياسى بنو بوية والذين سيلعبون دوراً مهما فى حياة الدولة العباسية .

والبويهيون أصلهم من الديلم ، وبلاد الديلم الأصلية هى المنطقة الواقعة بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخزر ، ومن جهة الغرب شىء فى أذربيجان وبلدان الران(٢) . وقد اختلف الباحثون فى نسبهم فمنهم من يرى أن نسبهم يرتفع إلى واحد من ملوك الفرس (٣) ومنهم من يرى أنهم من العرب ويرجعون إلى بنى ضبة (٤) ويرجح أن البويهيين من الديلم ولاصلة لهم بالعرب . واشتهر من بنى بويه الأخوة على وأحمد والحسن ، وأبوهم بويه ، كان صيادا فقيراً على بحر قزوين (٥) . واشتغل هؤلاء الأخوة فى خدمة مرداويج بن زيار ، الذى أسس الدولة الزيارية ، وقد أظهر على بن بويه كفاية ومقدرة ، وصار يترقى فى مناصب الدولة حتى ولاه مرداويج ولاية الكرج ويبدوا أنه أصاب نجاحاً فى حكمه وصار أهل الولاية يظهرون له الحب ، الأمر الذى أثار شكوك مرداويج وأحس بخطره فى المستقبل ، وبدأت المنافسة بين بنى بويه ومرداويج ، ولكن البويهيين تنفسوا الصعداء بعد مقتل مرداويج سنة ٣٢٣هـ ٩٣٤م. ، فاغتنم الأخوة الفرصة فاستولى الحسن على أصفهان والرى وهمذان (٦) وشيراز ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٢٣
ابن الطقطقى : الفخرى ، بنفس المعنى ص ٢٠٨

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٢١ طبع سنة ١٩٦١
المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٥٣

(٣) ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢١٥
ابن حوقل : تفضيل الأتراك ص ٣٥
Bowen, p. 329 / - Ency. of Islam, vol I, p.801

(٤) ابن حوقل : تفضيل الأتراك ص ٣٤ — ٣٥

(٥) ابن الجوزى ج ٦ ص ٢٦٩

(٦) مسكويه : تجارب الأمم ج ١ ص ٣٠٢ — E. I. vol. I, p. 807

كما نازع أحمد بن بويه ، على بن العباس على ولاية كرمان وانتصر عليه (١) كما أخذ البويهيون يهاجمون أملاك الخليفة العباسى فى العراق ، ففى سنة ٣٣٢هـ — ٩٤٣ م هاجم أحمد بن بويه مدينة واسط ولكن توزون الذى كان أمير الأمراء صد هجوم أحمد بن بويه وتمكن من ايقاع الهزيمة بجيشه (٢) .

وفى سنة ٣٣٣هـ — ٩٤٤م توفى أمير الأمراء توزون وأصبح شيرزاد أمير الأمراء (٣) ، وكان معز الدولة (أحمد بن بويه) فى الأهواز ، وكان شيرزاد قد استعمل على واسط «ينال كوشه» الذى كاتب معزالدولة بن بويه واستقدمه (٤) ، ويبدو أن ينال كوشة كان قد أحس بقوة البويهيين واتساع نفوذهم فى وقت كانت الخلافة العباسية قد دب فيها الضعف والانهيار وسادت الفوضى مختلف مدن العراق خاصة بغداد حيث انتشر اللصوص الذين نشروا الرعب وتسلطوا على أموال الناس إلى حد ، فيه تهارب التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب وفساد الأمر (٥) كما أرجح أن « ينال كوشه » حاكم واسط كان يحس بمطامع أحمد بنى بويه ويعلم أنه هاجم العراق قبل هذا عدة مرات بقصد الاستيلاء عليه ، فرأى من مصلحته مداراة القوة الجديدة ضمانا لمستقبله فتقرب إلى البويهيين وكاتبهم وأظهر الاخلاص والمعاونة لهم .

تحرك أحمد بن بويه من الأهواز ودخل العراق فاضطرب الناس ببغداد ، فلما وصل إلى باجسرى زاد اضطراب الناس واختفى الخليفة المستكفى بالله وابن شيرزاد (أمير الأمراء) فلما علم الأتراك باختفاء الخليفة وابن شيرزاد عبروا إلى الجانب الغربى وساروا إلى الموصل . فلما سار الأتراك

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٦٤

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٠٧ — ٢٠٨

(٣) أبو الفدا : تاريخ ابن الفدا جـ ٢ ص ٩٩

(٤) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٨٤
ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٧٦

(٥) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٨٣

ظهر المستكفي بالله وعاد إلى دار الخلافة (١) ، واجتمع ابن محمد المهلبي صاحب معز الدولة بالخليفة المستكفي وابن شيرزاد ، وأظهر الخليفة السرور بقدوم أحمد بن بويه وأعلمه أنه انما استتر خوفا من الأتراك فلما ساروا عن بغداد ظهر (٢) .

وفي الحادي عشر من جمادى الآخرة نزل أحمد بن بويه في معسكره بباب الشماسية ووصل إلى الخليفة المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلا ، وأخذت عليه البيعة للمستكفي بالله واستحلف له بأغلظ الايمان ، وأقسم الأمير البويهي اليمين ، وخلع الخليفة عليه الخلع ولقبه معز الدولة ولقب أخاه عليا بعماد الدولة كما لقب أخاه الحسن بركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم (٣) .

ولم تمض إلا أيام معدودات وانقلب الأمير البويهي معز الدولة على الخليفة المستكفي بالله ، فأهانه اهانة كبيرة حيث سحب من مكانه واقتيد إلى دار معز الدولة واعتقل فيها ، ونهبت دار الخلافة (٤) ، أما سبب ذلك أن علما قهرمانة الخليفة دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الأمير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رياسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنه لذلك .

---

(١) مسكويه : ج ٢ ص ٨٤
ابن الأثير — الكامل ج ٨ ص ١٧٦

(٢) مسكويه : ج ٢ ص ٨٤ — ٨٥
ابن الأثير : ج ٨ ص ١٧٦
أبو الفدا : ج ٢ ص ٩٩
ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٢

(٣) مسكويه : ج ٢ ص ٨٥
ابن الأثير : ج ٨ ص ١٧٦
Ency. of Islam, vol. I, p. 807

(٤) مسكويه : ج ٢ ص ٨٦

وكان المستكفي بالله قد قبض على الشافعي رئيس الشيعة ، فشفع فيه اصفهدوست فلم يشفعه فأحفظه ذلك وذهب إلى معز الدولة وقال : قد راسلني الخليفة في أن القاه منكرا في خف وازار (١) ، وأرى أن هناك سببا آخر قد يضاف إلى هذين السابقين ، أن الأمير البويهي انما دخل بغداد بقصد السيطرة والاحتلال ولتثبيت الفكرة الشيعية التي هو يؤمن بها ، فالأساس في الخلاف هو الصراع المذهبي بين السنة والشيعة ، وكان الأمير البويهي يقصد إضعاف الخلافة واذلالها بل وبالاطاحة بها ، كما سندلل على هذا بالمحاولة التي حاولها معز الدولة ، حيث حاول القضاء على الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية ، وأنه أشخص في نواحي فارس أحد كبار العلويين مشهرا بالديانة وحسن السير والصيانة(٢) ، واقترح معز الدولة عليه أن يسلمه الملك والخلافة اعتقادا منه بأحقية آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بتولية أمور المسلمين ، ولكن هذا العلوي شكر الأمير واعتذر عن قبول ذلك العرض ونصحه بالعدول عن هذه الفكرة لأن عامة الناس في الأقطار والأمصار قد اعتادوا الدعوة العباسية ودانوا بدولتهم وأطاعوهم كطاعة الله ورسوله وراؤهم أولى الأمر (٣) ، وقيل أن الصيمري (٤) منع الأمير البويهي من تنفيذ تلك الفكرة وقال له : إذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان وأطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا أمره فيك وبنو العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة وتصح مرارا وتمرض تارة وتستقل أطواراً لأن أصلها ثابت وبنيانها راسخ (٥) فاستبعد معز الدولة الفكرة وعدل عن تنفيذها .

---

(١) مسكويه : جـ ٢ ص ٨٦
ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٧٦ – ١٧٧

(٢) البيروني – الجماهر في معرفة الجواهر ص ٢٢ – ٢٣
مسكويه : جـ ٢ ص ٨٧ في الحاشية : أن العلوي اخو أبو الحسن محمد بن يحيى الزيدي .

(٣) البيروني : الجماهر في معرفة الجواهر ص ٢٣ .

(٤) الصيمري : أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري وزير معز الدولة البويهي توفي سنة ٣٣٩ هـ

(٥) مسكويه : جـ ٢ ص ٨٧ في الحاشية .

ونصب معز الدولة البويهى ، أبا القاسم الفضل بن المعتز خليفة ولقب المطيع لله سنة ٣٣٤هـ — ٩٣٢م (١) ، ولم يكن الخليفة المستكفى بالله هو الوحيد من الخلفاء العباسيين الذى تعرض للاعتداء فى هذا العصر ؛ ففى سنة ٣٨١هـ ٩٩١م اعتدى البويهيون على الخليفة الطائع لله وسبب الاعتداء أن الأمير البويهى قلت عنده الأموال ، فكثر شغب الجند فقبض على وزيره سابور (٢) . فلم يغن ذلك عنه شيئا ، وكان أبو الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة وحكم فى مملكته فحسن له القبض على الطائع واطمعه فى أمواله وذخائره وهون عليه ذلك وسهله (٣) ، فتقدم أصحاب الأمير البويهى ، وجذبوا الخليفة بحمائل سيفه عن سريره فلف بكساء وحمل إلى بعض الزبازيب وخلع من الخلافة (٤) .

وهكذا ساءت حال الخلافة — واصبح الخليفة لعبة بيد البويهيين ، ينصبونه ويعزلونه ، ويلحقون به الأذى والاعتداء وأصبح الخليفة العباسى أشبه مايكون بالموظف يخصص له الأمير البويهى راتبا ، وكانوا يتصرفون حسب مشيئتهم فى تخصيص تلك الرواتب ، فقد جعل معز الدولة للخليفة المستكفى خمسة آلاف درهم فى اليوم (٥) ، ثم خفض ذلك المرتب إلى ألفى درهم يوميا عندما عين المطيع (٦) . وكان للخليفة العباسى وزير وللأمير

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٨٧
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٣٤٣
ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٧٧

(٢) سابور : أبو نصر سابور بن اردشير وزير بنى بويه فى عهد شرف الدولة بن عضد الدولة توفى سنة ٤١٦ هـ (المنتظم جـ ٨ ص ٢٢)

(٣) مسكويه : جـ ٢ ص ٢٠١
ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢٧

(٤) مسكويه : جـ ٢ ص ٢٠٣ الهامش
ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢٠٧
ابن كثير : جـ ١١ ص ٣٠٨ — ٣٠٩

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٧٦
السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٣

(٦) مسكويه : جـ ٢ ٨٧

كاتب ولكن الأمر انعكس فى العهد البويهى (١) ، وتلقب الحكام البويهيون بلقب أمير ، وأنهم استخلفوا وظيفة أمير الأمراء ، وتلقبو بألقاب مختلفة فقد منح عضد الدولة لقب تاج الملة (٢) ، وفى سنة ٣٨١ هـ لقب القادر الأمير البويهى بهاء الدولة بلقب غياث الأمة (٣) ، وفى سنة ٤٢٩ زيد فى القاب جلال الدولة (شاهنشاه الأعظم أى ملك الملوك) وخطب له بذلك (٤) وفى سنة ٤٣٠ هـ منح جلال الدولة لقب الملك الوزير (٥) .

والحقيقة أن سلطات الأمير البويهى كانت واسعة جداً وأنهم لم يكتفوا بتلك السلطات ، بل عملوا على سلب امتيازات الخليفة ومشاركته فى اختصاصاته ، فقد كانت الخطبة فى المساجد رمز سيادة الخليفة ، وفى سنة ٣٦٩ هـ أمر عضد الدولة البويهى أن يذكر اسمه مع اسم الخليفة الطائع فى خطبة الجمعة (٦)، والأعجب من هذا أن عضد الدولة اختلف مع الخليفة الطائع فأمر الأمير البويهى بحذف اسم الخليفة من الخطبة لمدة شهرين (٧) كما شارك البويهيون الخليفة العباسى فى نقش اسمهم على النقود ، بل تجرأوا على حذف لقب أمير المؤمنين من الخليفة العباسى وذكروا اسمه فقط ، بينما ذكر الأمير البويهى مع لقبه وكنيته (٨) ، فيذكر مثلا لقب الأمير عضد الدولة (تاج الملة) وكنيته (أبوشجاع) ، وكانت الطبول تضرب على أبواب الخلافة فى أوقات الصلوات الخمس ، وصارت الطبول

---

(١) ابن الأثير : ج ٨ ص ١٧٦
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ٧٨
(٣) المرجع السابق ج ٧ ص ١٦٣
(٤) المرجع السابق ج ٨ ص ٩٧
ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١٥٨
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٩٩
(٦) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٣٦٩
(٧) ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ٧٥
(٨) مسكويه ج ٢ ص ٥٨

تضرب على أبواب الأمير عضد الدولة ثلاث مرات فى اليوم (الغداء والمغرب والعشاء) (١) ، ثم أخذت الطبول تضرب على أبواب الأمراء أبى شجاع سلطان الدولة ، وابى كاليجار صمصام الدولة ، وابى طاهر جلال الدولة خمس مرات يوميا (٢) .

وبدا الضعف ظاهرا فى خلفاء بنى العباس أيام البويهيين ، كما أن العداء المستمر بين الخلفاء العباسيين والأمراء البويهيين يرجع سببه كما قلنا سابقاً إلى كون البويهيين من الشيعة الزيدية ويعتقدون أن الخلفاء العباسيين انما هم فى الحقيقة مغتصبون للخلافة ، وقد أبقى البويهيون الخلفاء العباسيين تمويها على الرعية وتيسيراً للأمور ، ولم يبق للخليفة العباسى من الحكم الا تعيين القضاء وأصحاب الصلاة والخطباء وقوام المساجد ، وهذا هو الذى حفظ للخليفة نفوذه الدينى ، فصار يؤكده ويسعى إلى تثبيت مركزه به ، ساعده ذلك على استرجاع سلطته فى دور ضعفهم كما حافظ الخليفة أيضا على احترام الرأى العام وتأييده ، وهو ما جعل البويهيين يحسبون للخلافة حسابها حتى فى دور قوتهم ، وفعلا انتعشت الخلافة العباسية فى أواخر حكم البويهيين ، ففى عهد القادر ، زاد وقار الدولة العباسية ونما رونقها وأخذت أمورها فى القوة (٣) .

وكان الأمراء البويهيون يترضون الخلفاء ويظهرون لهم الطاعة ارضاء للجمهور وطمعاً فى أن يمنح الخليفة لهم الألقاب التى كان يهواها أمراء بنى بويه ، وقد شعر البويهيون بنفوذ الخليفة الدينى فى الأوساط الشعبية ، فكانوا يتظاهرون فى المناسبات باظهار الشعور الكريم والطاعة الكلية لمقام الخليفة ، ففى عهد حفلة العهد إلى عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ — ٩٧٩م جلس الطائع على السرير وحوله ماثة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٩٦
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٩٢
(٢) بن الجوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٣٠
(٣) ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢١٤

وعلى كتفه البردة وبيده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم . وضربت شارة بعثها عضد الدولة وسأل أن تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد الجند قبله ، ودخل الأتراك الديالمة وليس على أحد منهم حديد ، ووقف الأشراف وأصحاب المراتب من الجانبين ، ثم أذن لعضد الدولة فدخل ، ثم رفعت الستارة ، فقبل عضد الدولة الأرض ، فارتاع زياد القائد لذلك وقال : ماهذا أيها الملك أهذا هو الله عزوجل ؟ فالتفت إلى عبد العزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له : هذا خليفة الله فى الأرض ، ثم استمر يمشي ويقبل الأرض سبع مرات ، فالتفت الطائع إلى خالص الخادم ، فقال : استدنه — فصعد عضد الدولة فقبل الأرض دفعتين فقال له : أدن إلى أدن إلى ، فدنا ، وقبل رجله وثنى الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد أن كرر عليه : اجلس . وهو يستعفى فقال له : أقسمت لتجلس . فقبل الكرسي وجلس (١) هذه صورة جلية للتناقض الكبير فى معاملة الخلفاء ، فالأمراء البويهيون ، أيتظاهرون بالولاء والخضوع للخليفة العباسي أمام الناس وفى المناسبات ليكسبوا رضا الجمهور العام ولكي يقال أن الأمير البويهي يحترم الخليفة فبذلك يبعدوا عنهم سخط العامة ومعارضتهم ، بينما كانوا فى خصوصياتهم يعملون على الخليفة العباسي فى مطالبهم ويسعون إلى تجريد الخلافة من مظاهرها وخصائصها وعوامل قوتها .

ومما لاشك فيه أن بعض الأمراء البويهيين قاموا باصلاحات فى العراق من ناحية اصلاح نظام الرى وتحسين شؤون الزراعة خاصة فى عهدى معز الدولة وعضد الدولة وكانت لتلك الاصلاحات آثار طيبة فى تقدم الزراعة ورفاهية السكان ، ولكن الدولة كانت فى حاجة بشكل عام إلى الأموال وخزائنها كانت لاتسد ولاتكفي العمران الزراعي والتنظيم العسكرى . فقد كان الجيش فى حاجة كبيرة إلى الأموال ، ويبدو أن

---

(١) مسكويه : جـ ٢ ص ٤١٧
ابن الجوزى المنتظم جـ ٧ ص ٩٨

البويهيين لم يكونوا من ذوى الخبرة فى التنظيم الاقتصادى ، لذا نراهم يتبعون سياسة زراعية عادت على البلاد بخسائر فادحة كما أدت إلى خراب أراضى السواد ، فان معز الدولة أعطى الإقطاعات لجنده دون حساب (١) كما تطرف عضد الدولة وصار يمنح الجند اقطاعات فى أراضى الوقف (٢) وأن هؤلاء الجند تحكموا فى أراضيهم الزراعية التى اقطعوا إياها كما تحكموا بزراعها حسبما شاؤا (٣) ، وان هؤلاء الجند لم يكونوا ليدفعوا شيئا يذكر لخزانة الدولة (٤) .

إن الاقطاعات التى أقطعها معز الدولة للقواد وكبار الموظفين والجند ، انه إنما أراد بذلك ربط هؤلاء خاصة الجند بالأرض ، ولاسترضائهم وتقوية جانبهم ، ولكنه من جهة أخرى أدى إلى فعل معاكس ، أدى ذلك إلى أن يحرص القواد على جمع الأموال وحيازة الأرباح والتماس الخطائط (٥) ، وبذلك فشلت محاولات معز الدولة فى اصلاح نظام الرى والزراعة ، فقد أدت إلى إرهاق الخزانة بالأموال لتضاؤل مواردها كما كان معز الدولة كثير النفقة على جنده مما أدى إلى افلاس الخزانة وإلى ذلك أشار مسكويه : فتعذر عليه أن يدخر ذخيرة لنوائبه أو أن يتفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤنته تزيد وموارده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما(٦) . كما أن الأمراء البويهيين الذين حكموا بعد معز الدولة عدا عضد الدولة كانوا على بعد من الفهم السياسى والحزم الادارى مما عجل فى ارباك أمور الدولة والاسراع فى سقوطها ، فقد أشغل مختار نفسه باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء (٧) ،

---

(١) مسكويه : جـ ٢ ص ٩٧

(٢) أبو شجاع : ذيل مسكويه ص ٧١

(٣) مسكويه : جـ ٢ ص ٩٨ — ٩٩

(٤) المصدر نفسه ٢ ص ٩٨

(٥) الخطائط : التخفيف فى مقدار الضمان ، أى مقدار المبلغ المفروض دفعة لخزينة الدولة .

(٦) مسكويه : جـ ٢ ص ٩٩

(٧) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٣٤

وكان لاينظر فى دخل ولاخرج وانما يلزم وزيره تمشية الأمور من أحيث لايعينه ولاينصره ولايمنع أحد من جنده شيئا فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الأمر أن يعود من الالتياث والاختلال إلى أسوأ مما كان (١) . وقد أساء بعض المسئولين البويهيين التصرفات التى أدت إلى أرباك الحالة الاقتصادية واقلاق حياة الناس التجارية والمعاشية حتى «بطلت الأسواق وانقطعت المعايش»(٢) . ومما زاد فى الوضع سوءا المنازعات التى قامت بين الأمراء البويهيين وبالطبع أدى ذلك إلى تدهور الحالة السياسية والاقتصادية وأثر تأثيراً كبيراً فى حياة الناس المعيشية .

إن البويهيين ارتكبوا خطأ كبيراً من أكثارهم للعناصر الأجنبية التركية فى جيشهم ، فكان ضعف ادارة الأمير منهم سببا فى ظهور مطامع الطامعين من مماليكهم الأتراك ، وبث الشقاق بين الناس والخراب والفساد فى البلاد ، وقد ظهر الخلاف والنزاع بين الاتراك والديالمة كما دب التنافس بين الفريقين للحصول على الأمتيازات والمخصصات ، ولجأ البويهيون إلى السياسة الخدامة ، تلك هى محاولة تفضيل فريق أو تقريب عنصر على حساب العنصر الآخر ، وهذه السياسة التى اتبعها البويهيون والتى كانوا يتوخون من تطبيقها عدم افساح المجال لتوفيق الفريقين ضدهم ولكن النتيجة أتت بخطر جسيم أضعف الجيش البويهى بشكل عام كما أحدثت انقساما خطيراً فى صفوفه ، وأدى إلى أمر أخطر من هذا ذلك أن الديالمة والاتراك فقدوا الثقة بالأمير ، ولم تعد له تلك الثقة وذلك الاحترام فى نفوسهم ، وأصبحت ازالة النزاع القائم بين الديلم والاتراك غير ممكنة . وقد حاول بختيار أن يقوم بمثل هذه المحاولة ولكنه فشل فى مسعاه سنة ٣٦٠هـ — ٩٦٩م(٣) وفى سنة ٣٦٣ — ٩٧٣ م افلست الخزينة العامة فحاول الأمير البويهى بختيار أن يقوم بحركة ولكنها فى الحقيقة كانت غير موفقة ، فقد حاول

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ ٣٠٧

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٠٨

(٣) مسكويه : جـ ٢ ص ٢٨٢

أن يضع يده فى اقطاع سبكتكين قائد الأتراك ، فثار الأتراك فى بغداد واستولوا على المدينة وأخرجوا بختيار منها وحدثت فى بغداد اضطرابات شديدة ، فقد نزل الأتراك فى دور الديلم وتتبعوا أموالهم وأخذوها ، وثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لأنه كان يتسنن فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فثاروا بالشيعة وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء وأحرقت الكرخ حريقاً ثانياً (١) وظهرت السنة عليهم(٢) . واستنجد بختيار بركن الدولة وبعضد الدولة (٣) ، وسار عضد الدولة إلى بغداد واعاد النظام إلى بغداد (٤).

وكانت السياسة البويهية فى العراق بشكل عام غير مرضية فالبويهيون اتبعوا سياسة مذهبية تقوم على مناصرة المذهب الشيعى ، وهذا بالطبع أدى إلى احداث الفرقة فى صفوف الشعب الواحد ، وكان أثره عظيما فى تدمير الروح الوطنية وتمزيق الصف الوطنى ، كما أدت تلك الفرقة إلى احداث القلاقل والاضطرابات والفتن ، كما أن سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى ظهور العيارين وانتشارهم فى بغداد واستغلال الكثير منهم الفرص للسلب والنهب .

وحركة العيارين التى برزت فى هذا العصر لم تكن إلا وليدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة وقتذاك ، والمؤرخون يصمون العيارين بأنهم لصوص وأن حركتهم لم تقم إلا لاكثار الفوضى والفساد ، ولكننا يمكننا أن نتلمس فى بعض أعمال كبار العيارين صفات الانسانية والرجولة. ويبدو أن لحركة الفتوة صلة بحركة العيارين ، فالعيارون يسمون طريقتهم الفتوة وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب (٥) . ومن مبادئهم أن الفتى لايزنى ولايكذب ويحفظ الحرم ولايهتك ستر امرأة (٦) ، وقال

(١) الحريق الأول حصل سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢م راجع ابن الأثير جـ ٨ ص ٢٤٨
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٥١ — ٢٥٢
(٣) المرجع السابق جـ ٨ ص ٢٥٤
(٤) المرجع السابق جـ ٨ ص ٢٥٦
(٥) ابن الجوزى : تلبيس أبليس ص ٣٩٢
(٦) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٣٩٢

الجنيد البغدادى : الفتوة كف الأذى وبذل الندى (١) ، وللعيارين مبادىء سامية انسانية جديرة بالتفحص والدراسة ، واشهر فى هذا العصر ، البرجمى العيار الذى استبد ببغداد من سنة ٤٢١ — ٤٢٥ هـ — ١٠٣٠ — ١٠٣٣م وبلغ من عجز السلطة تجاهه أن العامة ثاروا بالخطيب فى صلاة الجمعة وقالوا له إما أن تخطب للبرجمى والافلا تخطب لسلطان ولاغيره (٢) . وكان البرجمى قد تعهد سنة ٤٢٥هـ — ١٠٣٣م بحفظ الأمن وكان يجبى الضرائب فى الاسواق وارتفاع المواخير والقيان لنفسه (٣) ، ويقول عنه ابن الأثير : وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة لم يعرض إلى امرأة ولا إلى من يستسلم اليه (٤) .

ولفظة العيار لغة ، الكثير المجيء والذهاب فى الأرض (٥) ، وقيل هو الذكى الكثير التطواف (٦) ، وحكى الفراء : رجل عيار إذا كان كثير التطواف والحركة ذكيا . (٧) وقال ابن الاعرابى : والعرب تمدح بالعيار وتذم به ، يقال غلام عيار نشيط فى المعاصى ، وغلام عيار نشيط فى طاعة الله عز وجل (٨) .

وقد ركز العيارون هجماتهم على بيوت الأغنياء وكبار التجار وأصحاب الشرط والمتنفذين فالعيار المعروف بعزيز ظهر فى باب البصرة فى محلات بغداد ، التحق به كثير من الدعار وطرح النار فى المحال ، وطلب أصحاب الشرط ثم صالح أهل الكرخ وقصد سوق الثمارين وطالب بضرائب الأمتعة وجبى ارتفاع الأسواق الباقية وكاشف السلطان وأصحابه

---

(١) القشيرى : الرسالة القشيرية ص ١١٣
(٢) ابن الأثير : ج ٩ ص ١٥٢
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٧٨
(٤) ابن الأثير : ج ٩ ص ١٥٢
(٥) ابن منظور : لسان العرب ج ٥ ص ٣٠١
(٦) الزبيدى : تاج العروس ج ٣ ص ٤٣٤
(٧) ابن منظور : لسان العرب ج ٥ ص ٣٠١
(٨) الزبيدى : تاج العروس ج ٣ ص ٤٣٤

ونادى فيهم وكان ينزل إلى السقى فيطالب بالضرائب وأصحاب السلطان يرونه من الجانب الآخر (١) ويبدو أن العيارين كانوا من السنة والشيعة ففى ٣٩٢ هـ — ١٠٠١ م زاد أمر العيارين والفساد ببغداد وكان فيهم من هو عباسى وعلوى (٢) فواصلوا العملات وأخذوا الأموال وقتلوا ، واشراف الناس معهم (٣) . كما كانت للعيارين تنظيمات خاصة بهم ، وتميزوا بدرجات معلومة فى السلم الرئاسى ، ومن درجاتهم ، المتقدم ، وكان البرجمى على مايظهر يحمل لقب «متقدم» (٤) ، ودرجة القائد (٥) ، ودرجة الرئيس ، فقد كان لكل محلة رئيس وقد يجتمع فيها عدة رؤساء (٦) ، وفى أواخر العصر البويهى أخذت الدولة تستعين بالعيارين ففى سنة ٤٢١ هـ —١٠٣٠ م ، تقلد أبو محمد بن النسوى النظر فى المعونة ولقب الناصح واستحجب وخلع عليه واستدعى جماعة العيارين فاقامهم أعوانا وأصحاب مصالح (٧) . وانتشر العيارون بكثرة فى بغداد بشكل خاص ومع وجود بعض العيارين من يحمل روح الفتوة و مبادئها السامية ولكن الأوضاع وانهيار الوضع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى جعل الكثير من العاطلين والشقاة ينخرطون فى صفوف العيارين ، الامر الذى أدى إلى أن تصطبغ هذه الحركة بصبغة اللصوصية والعدوان ، ومهما يكن فظهور العيارين وانتشارهم واستبدادهم فى بعض الأوقات بالأمور دليل واضح للتردى الشامل الذى أصاب الدولة العباسية والحكم البويهى فى العراق .

كان كل المشرق الاسلامى الواقع إلى شرقى العراق مقسما بين السامانيين والغزنويين وعظم أمر الدولة الغزنوية حتى صارت تسيطر على المشرق

---

(١) المنتظم جـ ٧ ص ١٧٤

(٢) الصابى : تحفة الأمراء جـ ٨ ص ٤٦٢ وص ٤٦٤

(٣) المنتظم جـ ٧ ص ٢٢٠ — الصابى : تحفة الأمراء جـ ٨ ص ٤٦٢

(٤) المنتظم جـ ٨ ص ٤٧

(٥) المرجع السابق ص ٧٨ — مسكويه جـ ٢ ص ٣٣٧ الهامش

(٦) مسكويه : جـ ٢ ص ٣٠٥

(٧) المنتظم جـ ٨ ص ٤٩

كله من حدود الهند إلى حدود خراسان الشمالية وهى دولة اتخذت فى غزنة عاصمة لها ، وكان محمود الغزنوى قد استولى على الملك سنة ٣٨٩ هـ ٩٨٨م وباستيلاء الأتراك الغزنويين على خراسان وما يجاورها يكون الفرع البويهى قد زال سلطانه فى الرى وبلاد الجبل ، ويقول براون : وأنه والى لبنى بويه ضرباته التى انتهت باستيلائه على أصبهان (١) ، كما أن محمود الغزنوى قام بحملات واسعة فى بلاد الهند وقد نجح فى تلك الحملات ، حيث كان عاملا مهما فى نشر الاسلام فى تلك البلاد ، ويقول ستانلى ليزول أن حملات الغزنويين فى بلاد الهند واتخاذهم مدينة لاهور مقرا لهم ، يمكن اعتبار ذلك بدء حكم المسلمين الحقيقى فى هذه لاهور مقراً لهم ، يمكن اعتبار ذلك بدء حكم المسلمين الحقيقى فى هذه البلاد (٢) ، وبالطبع كان لنجاح الغزنويين فى ايران أثره الكبير فى أضعاف الجناح البويهى فى العراق .

وإلى جانب تلك الفوضى التى استعر أوارها فى جسم الدولة العباسية والتى كانت عوامل هدم لها ، فان البويهيين كانوا قد قاموا ببعض الاصلاحات المهمة ، والتاريخ يذكر أن عضد الدولة البويهى كان من أنشط الحكام البويهيين فى الاصلاحات العمرانية ، فقد شيد المساجد والمستشفيات وغيرها من المبانى العامة ، كما احتضن العلماء وطلبة العلم (٣) ومن أشهر أعماله الخالدة المارستان الذى عرف فى التاريخ بالمارستان العضدى والذى تمت عمارته سنة ٣٧١ — ٩٨١م وقد أوقف عليه عضد الدولة أوقافا كثيرة (٤) ، وقد وردت اشارات عديدة للمؤرخين والرحالة فى وصف بنائه واستمرار العمل فيه (٥).

---

(١) Browne : Literary History of Persia, vol I. p. 376

(٢) Lone-Poole : Muhammaden Dynasties, p. 284

(٣) Encyclopeadia of Islam, vol. I. p. 808

(٤) ابو شجاع : ذيل تاريخ مسكويه ج ١ ص ٦٩

(٥) راجع ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ١١٢ — ١١٣
بنيامين التطيلى : رحلة بنيامين ص ١٣٠ — ١٣٥
ابن جبير : الرحلة ص ١٧٩ .

كما أنشئت فى بغداد «دار العلم» التى بناها أبو نصر بن أردشير وزير السلطان بهاء الدولة ٣٨١هـ ٩٩١م فى الجانب الغربى من بغداد وقد احتوت من الكتب ما زاد على العشرة آلاف مجلد من الكتب الخطية النفيسة (١) وذكر ابن الأثير أنها شيدت سنة ٣٨٣ هـ (٢) . وكانت هذه الدار مركز بحث ودراسة ، يفد اليها الأدباء والعلماء والفلاسفة والحكماء ومن أشهر من قصدها الشاعر الفيلسوف العربى أبو العلاء المعرى .

ولابد لنا من أن نشير إلى استبداد الأمراء البويهيين وتعسفهم فى الحكم واستهتارهم فى معاملة الموظفين ، حتى وزرائهم ، وقد ضاعت هيبة الوزارة وسقطت كرامة الوزراء ، وقد أبطل البويهيون رسم الوزارة (٣) ، وقام كاتب الأمير مقام الوزير ، وقلنا أن الوزراء فقدوا نفوذهم القديم وأصبحوا فى عصر البويهيين تحت رحمة امزائهم لاحول لهم ولاقوة ، ومن أمثلة المعاملة السيئة للوزراء أن معز الدولة البويهى ضرب وزيره أبا محمد المهلبى المتوفى سنة ٣٥١ هـ (٤) ، مائة وخمسين مقرعة ، ووكل به فى داره ولكنه لم يعزله من وزارته ، وشاور معز الدولة من حضره ، وقال : هل يجوز أن استنيم إلى هذا الرجل وقد لحقه منى هذا المكروه العظيم ؟ فقال أحد من استشاره : أن مرداويج قد ضرب وزيره أعظم من هذا الضرب ، حتى كان لايطيق المشى ، ولايقدر على الجلوس لما حل به ، ثم خلع عليه ورده إلى أمره (٥) ، ولما تولى بختيار ابن معز الدولة سلطنة البويهية ، استوزر صاحب مطبخه وذلك سنة ٣٦٢هـ ٩٧٣م (٦).

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ١٧٢
(٢) ابن الأثير جـ ٩ ص ٣٠
(٣) مسكويه : جـ ٢ ص ٨٧
المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٩٩
(٤) المنتظم : جـ ٧ ص ٩
(٥) مسكويه : جـ ٢ ص ١٤٣ — ابن الأثير : جـ ٨ ص ٣٧٥
(٦) مسكويه : جـ ٢ ص ٢٨٥ — ابن الأثير : جـ ٨ ص ٤٦٢

ويبدو أن البويهيين لم يكونوا ليهتموا باختيار العناصر ذات الكفاءة والسمعة الطيبة لمنصب الوزارة ، وأخذوا منذ عهد عضد الدولة يختارون شخصيتين لمنصب الوزارة ، أحدهما يقيم فى فارس والثانى يقيم فى بغداد ، وكذلك سار على هذا النهج بهاء الدولة فعين وزيرين وجعل أحدهما مدبرا لأمور العراق (١) ، ولما مات الصاحب بن عباد ٣٧٤ هـ — ٩٩٤ م وقعت مساومة شائنة حول هذا المنصب وذلك أن أحد الولاة أرسل يخطب الوزارة ويضمن ثمانية آلاف درهم ، فبذل الوزير الذى فى الوزارة آنذاك ستة آلاف درهم على اقراره فى الوزارة ، فأشرك السلطان فخر الدولة بينهما فى الوزارة وسامح كلا منهما بألفى درهم من جملة مابذل ، وجمع بينهما فى النظر ، ورتب أمورهما على أن يجلسا فى دست واحد ، ويكون التوقيع لهذا يوما والعلامة للآخر ، وكانا يتقارعان على من يخرج لقيادة الجيوش ، ثم سعت بينهما السعاة ودبر أحدهما للآخر فقتله (٢) .

فالخلافة وقد بلغت حدا كبيراً من الضعف وبدا التجزؤ فيها واضحا وجسيما ، واستقلت أطراف مثل الدولة السامانية فى ايران ، والدولة الغزنوية التى امتدت فى خراسان حتى الهند ، واستقل الفاطميون بمصر والشام وشبه جزيرة العرب كما استولى البريديون على البصرة والاهواز وواسط ، وأصبحت البحرين واليمامة فى يد أبى طاهر القرمطى ، ولم يبق للخليفة العباسى شأن الا فى بغداد والسلطة الفعلية للحاكم البويهى ، هذا من الناحية الادارية والسياسية ، ولكن كان هناك للخليفة تأثير دينى فى كثير من الأقاليم الاسلامية ، وفى عهد البويهيين أصبح فى العالم الاسلامى ثلاث خلفاء ، خليفة عباسى فى بغداد ، وخليفة أموى فى الأندلس وخليفة فاطمى فى القاهرة ، وهذا بالطبع من مظاهر ضعف الخلافة العباسية . وبالرغم من أن الخلافة العباسية كانت ضعيفة فانها ظلت تتنازع البقاء طوال العصر البويهى ، إذ لولا الاعتبارات الشخصية وخوف البويهيين

---

(١) ابن الأثير : ج ٩ ص ٦٧

(٢) ياقوت الحموى : ارشاد الأريب ج ١ ص ٧١

على نفوذهم من الضياع ، لكان بمقدورهم القضاء على الخلافة العباسية ، والدعوة للخليفة الفاطمي ، ويروى ابن الأثير : أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه فى اخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوى أو لغيره من العلويين فكلهم أشار عليه بذلك ، ماعدا بعض خواصه فانه قال : ليس هذا برأى فانك اليوم مع الخليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلوين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلوأمرهم بقتلك لفعلوه . فأعرض عن ذلك (١).

وكان المجتمع فى بغداد تسوده الخصومات الطائفية التى أثارها البويهيون ومما زاد الطين بلة ، أن الأتراك الذين استخدمهم البويهيون كانو يتطرفون للسنة ، والديالمة يتطرفون للشيعة ، وهذا بالطبع جر البلاد المصائب ، ففى سنة ٣٦٢هـ — ٩٧١م قامت فتنة بالكرخ فارسل الوزير الى حاجبه لقتال العامة ، وكان شديد العصبية للسنة ، فألقى النار فى أماكن كثيرة ، فاحترق الكرخ حريقاً عظيما ، وكان عدد من احترق فيه سبعة عشر الف انسان وثلثمائة دكان وثلاثين مسجداً (٢) ، وفى تلك الأحوال التى كانت ماثلة فى بغداد يقول ابن الأثير : وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق فى المحال واستمر الفساد (٣) .

وأخيراً أفل نجم بنى بويه ، واضمحلت دولتهم وتقلصت مواردهم المالية حتى أفلست الخزانة ، واختلت المملكة أيام جلال الدولة وقطعت عنه المادة حتى أخرج ثيابه وآلاته وباعها فى الأسواق ، وخلت داره من حاجب وفراش وبواب ، وصار أكثر الأبواب مغلقاً ، وانقطع

(١) ابن الأثير جـ ٨ ص ١٧٧

(٢) المرجع السابق جـ ٨ ص ٢٣٨

(٣) المرجع السابق جـ ٩ ص ١٠٦

ضرب الطبل له فى أكثر الأيام لانقطاع الطبالين (١) . وهكذا فالأمر فى أواخر العهود البويهية كان ينذر بالخطر كما كان ينبىء باحداث جديدة ، وفى هذا الوقت كان السلاجقة الأتراك يتوسعون فى ايران وصار نفوذهم يقوى يوما بعد يوم ووجد طغرلبك الفرصة سانحة لدخول العراق والقضاء على الدولة البويهية ، فسار فى المحرم من سنة ٤٤٧هـ — ١٠٥٥م إلى همدان وأظهر أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والسير إلى الشام ومصر وازالة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى ، فأمر عماله فى المناطق المجاورة للعراق بجمع الجند، ثم دخل العراق ، فاسرع الملك الرحيم آخر أمراء بنى بويه إلى بغداد، واستقر الرأى بينه وبين الخليفة العباسى القائم بأمر الله على التعاون مع طغرلبك (٢) ودخل طغرلبك بغداد والقى القبض على الملك الرحيم وارسله أسيراً إلى الرى فالقى فى السجن حتى توفى عام ٤٥٠هـ — ١٠٥٨م ، وهكذا قضى على الدولة البويهية وزال نفوذها من العراق وايران .

---

(١) ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦

(٢) ابن الأثير : جـ ٩ ص ٢١٢ — ٢١٣

المنتظم : جـ ٨ ص ١٦٤